العمليات الاستشهادية
في الميزان الفقهي

تقديم

الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي
وكيل كلية الشريعة
للشؤون العلمية بجامعة دمشق

الشيخ أحمد معاذ الخطيب
خطيب وإمام مسجد
بني أمية الكبير سابقاً

إعداد
نواف هايل التكروري
ماجستير في الفقه وأصوله

{إنّ اللهَ اشترَى مِنَ المؤْمِنين أَنفُسَهُمْ
وأموالَهُمْ بأنّ لَهُمُ الجَنّةَ يقُاتِلون في سبيلِ اللهِ
فيَقتُلون ويُقتَلون وعداً عليهِ حقّاً في التّوراةِ والإنجيلِ
والقرآنِ ومَن أوفى بعهدِهِ مِنَ اللهِ فاستَبْشِروا
ببيعِكُمُ الذي بايعتُم بِهِ}

إهداء

إلى الذين روّوا بدمائهم الزّكّية تراب فلسطين الطهور.
إلى الذين يرفعون راية الجهاد عالية ضد اليهود المغتصبين.
إلى المجاهدين في سبيل الله في كل مكان.
إلى الرّافضين حلول الذُّلّ والصغّار والاستسلام.
إلى السائرين على خطى خالد والقعقاع وصلاح الدين والقسّام.
إلى روح الشهيد البطل يحيى عياش وتلامذته الأبرار.
إلى شهداء السودان الذين دفعوا بأجسادهم الطاهرة الهجمة الشرسة للصليبية الحاقدة وعملائها على أرض السودان المسلم.
إلى العلماء الذين أشكل عليهم حكم العمليات الاستشهادية التي ينفذها المجاهدون في فلسطين وفي كل مكان... دفاعاً عن حقوق المسلمين ومقدساتهم وحرياتهم.
إلى الشباب المجاهد التوّاّق إلى بذل دمه في سبيل الله، الباحث عن النور الشرعي للوصول إلى ما يتوق إليه.
أقدم هذا البحث، راجياً المولى عزّ وجل أن يجعله في ميزان حسناتي، وأن ينفع به شباب الإسلام وحملة راية الجهاد ويجعله نوراً يلتمس به الطريق إلى الشهادة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مقدِّمة

بقلم الأستاذ الدكتور محمد الزُّحيلي
وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية بجامعة دمشق

الحمد لله حقّ حمده، على نعمة الإيمان والإسلام، والصلّاة والسلّام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فإن الإسلام هو الاستسلام والانقياد لله تعالى الذي كرَّم الإنسان أحسن تكريم، منحه العزة المستمدة من عزّة الله ورسوله. والإسلام دين السلام، ومن أسماء الله تعالى: السلام، وتحية الإسلام: السلام.

ولكن السلَّام غاية، وهي تتوقف على مقدمات كثيرة، ووسائل عدة، ومن وسائل السلام الناجعة: القتال والحرب والإعداد المادي والمعنوي لمجابهة الأعداء، وبمعنى أدق وأشمل، وأجمل، وأعمّ: الجهاد في سبيل الله، فهو وسيلة السلام.

ودعا الإسلام إلى السلام الشخصي، والنفسي، والاجتماعي، والأمن الداخلي، والأمن الدولي بين الشعوب، والدول، والأمم، وفي الوقت ذاته داعا إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، لإعلاء كلمة الله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإماطة الظلم، وتحرير الشعوب، والتياثِ الظلُّم، وهو ما عبرَّ عنه الصحابي الجليل ربعي بن عامر لقائد الفرس، في وصف الإسلام، وغاية المسلمين من الجهاد، فقال: (جئنا لنخرج الناس من جور الحكام إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة).

والإسلام عظَّم الإنسان، ورفع مكانته، وفضله على سائر المخلوقات، ودعا إلى الحفاظ على الحياة الإنسانية، والنفس البشرية، ومنع الاعتداء عليها، فحرَّم القتل، وشرَّع القصاص، ومنع الاعتداء على الأطراف والأعضاء، وأباح أخذ الدية، لتحقيق غايته في السلام.

وفي الوقت ذاته شرع الإسلام الجهاد بالنفس والمال واللسان، وهو أنبل وسيلة للسلام والحق والعدل، ورغّب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبينّ فضل المجاهدين، ورفع مكانتهم، وخلدَّ ذكرهم، واعتبر أسمى الجهاد: الشهادة في سبيل الله تعالى، وضرب المسلمون المثل الأعلى في ذلك، وفي قتل النفس ابتغاء مرضاة

الله تعالى، ليكون الشهداء في عليين مع الأنبياء والمرسلين والصدّيقين، وصارت الشهادة أسمى أماني المسلم المؤمن الصادق، لأنها أسرع طريق شريف، ونبيل، ومقدس، إلى رضوان الله تعالى، والحياة الأبدية، وهو ما أكّده القرآن الكريم أن الشهداء أحياء عند ربهِّم يرزقون حتى تقوم الساعة، ليستقرّ بهم المطاف في الفردوس الأعلى، ورفع المسلمون شعارهم أنهم يحبّون الموت كما يحبّ الأعداء الحياة ويحرصون عليها، وصارت عقيدة المسلم أن الجهاد وسيلة البقاء والخلود، وطبقّوا المثل السائر (اطلب الموت توهَب لك الحياة).

وكلما اشتدت شراسة الأعداء، وتكالب الحاقدون على الإسلام والمسلمين توقّدت شعلة الإيمان بالجهاد، وقدّم المسلم نفسه رخيصة في سبيل الله، والدين، وتحرير الوطن، وتشييد الأمة، والحفاظ على العرض والمقدسات.

وكما أن الحرب والقتال تتطور أساليبه وفنونه في الأزمان والأماكن، وأن الأعداء يتفننّون بالاحتياطات والكيد والتآمر، فإن وجوه المقاومة يجب أن تتطور، وأن تتناسب لتحقق الغاية والهدف لتحرير البلاد المغتصبة، والديار المدنسة، والأراضي المقدسة، من الأعداء والأشرار، وعصابات الغدر والحقد على الإنسانية والبشرية أجمع، وخاصة ما ابتليت به البشرية عامة، والمسلمون خاصة، من مكر اليهود وحقدهم واغتصابهم لفلسطين، وما يلاقونه من دعم مادي ومعنوي من أشرار العالم.

وهنا تسمو العمليات الاستشهادية لتكون في القمة، وتحرك الأرض تحت أقدام العدو، وتزرع الخوف والاضطراب في صفوف أعوانه، ونفوس أزلامه.

وضرب المسلمون في الماضي والحاضر أروع الأمثلة في التضحية بالروح والنفس، والقيام بالعمليات التي أذهلت الأعداء، وسُطرّت في التاريخ بأحرف من ذهب، مما دفع العدو إلى تحريك عملائه، وتجنيد إعلامه، للتشكيك في جدوى العمليات الاستشهادية، والطعن في مشروعيتها، ووصمها بالانتحار، والتّعصب، والتّطرّف، والوحشية ضد المدنيين، والإرهاب.. وغير ذلك، ليوهن في عضد الأمة، ويجفف ينابيع الخير والبر والعطاء والكفاح والنّضال والجهاد، ويوفر الأمن للمعتدي الغاصب. ويزوّده بالعون والمساعدة غير المباشرة {ويَمكُرُونَ ويمَكُرُ اللهُ، واللهُ خَيرُ الماكِرين}، {ولا يَحيقُ المَكْرُ السيِّءِ إلا بِأهلِهِ} ، {فأَحبَطَ اللهُ أعمالَهُم}، وقام الدعُّاة المخلصون بكشف اللثام، وبيان الحق، وعرض أحكام الجهاد عامة، والحركات

الاستشهادية خاصة، لمعرفة موقعها في الدين والشرع، وتحديد أحكامها الفقهية التي نصّ عليها العلماء والفقهاء والأئمة والمحدثون، ابتداء من النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسُّنة المشرّفة، إلى آثار الصحابة والتابعين إلى أقوال المجاهدين، وأفعال المقاتلين والدعاة، لتحرير العقول والأذهان من أدران الغزو الفكري الذي يسعى لتوهين العزائم، والإيقاع بين أبناء الدين والأمة والوطن.

وهذا ما قام به الباحث الفاضل، والشاب النشيط، والمؤمن المتحمِّس نواف هايل تكروري في هذا البحث الموجز القيِّم، مع الدراسة المعمقة، والمنهج العلمي، والبيان المشرق، والأسلوب الواضح، والاستدلال بالبراهين والنصوص، والأدلة المنطقية والعقلية، والاستئناس بعبر التاريخ القديم والحديث، الوطني والأجنبي، وتتبع الموضوع في المصادر الشرعية، والمراجع الأصيلة، والدراسات المعاصرة، حتى وصل إلى زبدة الفكر، وخلاصة القول في الموضوع، ليحق الحقّ، ويبُطل الباطل ولو كرِه المجرمون.

فجزاه الله خير الجزاء، وبارك في علمه وعمله، ونفع به، وسدّد خطاه، وحقّق آماله وأمدّه بالعون، والتوفيق، والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين.

الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي

وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية بجامعة دمشق

دمشق في ١٥ شوال ١٤١٧هـ الموافق شباط ١٩٩٧م

مقدِّمة

بقلم الشيخ أحمد معاذ الخطيب
خطيب جامع بني أمية الكبير سابقاً

الحمد لله الذي أعزَّ دينه بالجهاد. فلا تبطله شهوة حاكم، ولا زلةُّ عالم، {وقاتِلوا في سبَيلِ اللهِ الذَّين يقُاتِلونكَم ولا تعَتدَوا إن اللهَ لا يحُبِ المعُتدَين} (البقرة: ١٩٠). والصلاة والسلام على قائد الهداة محمد المنزل عليه {وقاتِلوهُم حتَىَّ لا تكَون فِتنةٌَ ويكون الدِّين كُلُهُّ للهِ} (الأنفال: ٣٩)، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار وكل من سار على هداهم وجاهد جهادهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن واقع العالم الإسلامي أنه محتل معظمه، إن لم يكن عسكرياً فاقتصادياً أو سياسياً أو ثقافياً، وفي القلب من هذا العالم درةّ المسلمين فلسطين، ما زال الكيد بها حتى صارت بيد الصهاينة.

وما زالت أسباب المقاومة تمُنع عن شعبها المسلم طوراً بالحيلة وطوراً بالضغوط، وفي أحوال كثيرة بالتدَّخلُّ الوقح. وما سكت شعب فلسطين المجاهد وما ضعف وما هان فله في كل عدو نكاية، وفي كل ظرف موقف، وقد لبس مجُاهدوه أكفانهم. فالحرية تؤخذ ولا تعطى.

وفي ظل التآمر العالمي على الشعوب المسلمة، وعلى شعب فلسطين المسلم بالذات انطلقت كتائب الجهاد والاستشهاد تذيق الغاصب الضربات تلو الضربات. وآتى كثير منها نتائج فعاّلة، زعزعت مزاعم الأمن (الإسرائيلي)، وجعلت شعباً صغيراً مجاهداً يرفع رأسه ليقول للعالم المتآمر: هأنذا لم أمت، وسأبقى أقاتل عن عقيدتي وأرضي.

وتوجه الكيد الخبيث إلى دراسة أسباب المقاومة من جديد، فهالهم ما يولدِّه الجهاد والاستشهاد في الأمة من صنوف الثبات والمقاومة والاقتحام وروح التَّحدي، وما يسببّه من رعب في نفوس الصهاينة، وبدأت مرحلة جديدة من التجهيل والتشكيك ودس الفتاوى الباطلة ومنها: أن الذين يقومون بالعمليات الفدائية لا يمكن اعتبارهم شهداء في سبيل الله، وذلك ليجففوا التربة من حول المجاهدين

ويقطعوا الإمدادات البشرية عن درب الجهاد والاستشهاد، وقد صدرت مثل هذه الفتاوى الباطلة من أشخاص تربعّوا بالقرارات السياسية، لا بالاستحقاق والكفاءة على مواقع القيادة المرجعية الشرعية، فهووا بفتاواهم السياسية الباطلة، وفقدوا احترام الشعوب المسلمة. ولم ترتفع الفتاوى الباطلة بهم، ولم تكتسب ثقة أمة تذبحها كل يوم جيوش الكفر والاحتلال. {فقَاتِلوُا أئِمةَّ الكفُرْ إنهَّم لا أيمْان لهَمُ لعَلهَّمُ ينَتْهَوُن} (التوبة: ١٢).

إن كل دول العالم لها جهازان للحماية، أحدهما للحماية من الاعتداء الخارجي وهو الجيش، والآخر من أجل الحماية الداخلية تمثله أجهزة الأمن المختلفة.. وكل الأنظمة والدول في العالم لها ذلك الحق، وحق حماية شعوبها وأرضها، فلماذا يُسلِّم لها بذلك، ويراد نسف هذين الأمرين لدى الشعوب الإسلامية.

إن جهاز الحماية الخارجية هو الجهاد، وجهاز الحماية الداخلية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما فريضتان من فرائض الإسلام.

قال تعالى: {وقاتِلوا المشُرْكين كافةّ كما يقُاتِلونكمُ كافةّ} (التوبة: ٣٦)، وقال تعالى: {ولتْكَنُ منِكمُ أمُةّ يدَعْون إلى الخير ويأمرُون بالمعَرْوفِ وينَهْوَنْ عنَِ المنُكْرَ وأولئكِ همُ المفُلْحِون} (آل عمران: ١٠٤).

أما الشعوب المسلمة الذبيحة من كشمير إلى الصومال. ومن البوسنة إلى فلسطين فيقال لها:

إياك أيتها الشعوب أن تشعري بجراحك الغائرة، بمذابحك الدائمة، بالإبادة وتجويع الأطفال والحصار. إياك أن تنفضي عنك غبار الضعف والإذلال، إياك أن تفيقي من سبُات الرعب والخوف والهلع والجبن والطاعة العمياء لأرباب النظام العالمي الجديد.

إياك أن تنتبهي فيلبس أبناؤك الأكفان ويسيروا إلى الموت باسمين شعارهم: اطلُبوا الموت توهب لكم الحياة.

إياك أن يصل إلى أنوف أبنائك شميم رائحة الدم القاني، وأن تري حمرة الأفق المتوهج المصبوغ بدم ألف شهيد وشهيد.

إياك أن يصل إلى سمعك أنين السُجناء والسَّجينات في زنازين الفردوس الصهيوني. أو أصوات القصف والنسف والهدم والتدمير.

إياك أن تهتزي لتخريب بنيتك الاجتماعية والنفسية ومحو هويتك الشرعية

والحضارية، ولا تسمعي يا شعوب المسلمين صليل السلاح وهدير جيوش الكفر تحتل كل شبر فيك.

ولا تحسي يا شعوب المسلمين بأنك تسلبين بمكر شديد مواقع مرجعياتك الدينية، ومراكز القيادة والتوجيه.

عليك أن تركعي وتسجدي للغاصبين وتنسفي من ضميرك قناعتك بالإسلام، والإسلام وحده عقيدة وشريعة، ديناً ودولة، فكراً وسلوكاً، وعليك أن لا تتبيني مهما بحَثَتْ عورات كل المبادىء المهلهلة الخبيثة والفكر الهزيل الموضوع لتعطيلك وإشغالك من أقصى تيارات اليسار إلى أقصى تيارات اليمين.

واحذري ثم احذري يا شعوب المسلمين أن تنشتغلي أو تفكري بفقه الجهاد والاستشهاد.. واغرقي في مستنقع الشهوات واللهاث الدائم وراء السفاسف واعبدي الدينار والدولار، وليكن همك الدور والقصور والحذاء والكساء وكل (الكماليات) من دون شبع ولا ارتواء.

وإياك ثم إياك يا شعوب المسلمين أن تدعمي حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وإلا فأنت إرهابية خطيرة. أو حركة الجهاد الإسلامي وإلا فأنت أصولية مجرمة، أو صمود حزب الله وإلا فأنت التطرّف المرعب.

وفي مثل هذه الظروف تصبح الشعوب المسلمة حرّة في اتخاذ كل أسباب المقاومة لصد كل أنواع الغارات عنها. وضمن منظوماتها الشرعية. لا وفق ما تمليه الإرادات الاستكبارية العالمية، ولا ما يقرره السلاطين الذين خانوا دينهم وشعوبهم، ولا ما تلقيه العمائم الملوثة بمآرب السياسيين، الخرساء عن حقوق الشعوب المستباحة.

ومن أساليب المقاومة تلك العمليات الاستشهادية، التي يقوم بها من باع نفسه لله {وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج: ٤٠). وقد ثار حولها كلام أكثره من جهاتٍ نهاياتُها معقودةٌ بيد أجهزة الموساد أو عملائها السياسيين أو الدينيين في المنطقة، وخطورة مثل هذه الفتاوى هو إعاقة العمل الجهادي. ووضع الشبهات في طريقه، ورغم أنها ساقطة شكلاً ومضموناً إلا أن البلبلة والتشكيك المراد من ورائها؛ لا بد أن يُفضَح كجزء من التّصدي للإعلام الصهيوني، وفضح أساليبه الماكرة في الالتفاف والاحتيال والإرجاف.

إن رصاص الاحتلال يقتل مرة واحدة، ولكن الفتاوى الباطلة التي تدعم الاحتلال يراد منها قتل الأمة وروح الاستشهاد فيها إلى يوم الدين.

لذا كان لا بد من الفضح والتبيين للزيوف الصهيونية، وشلّ تراكماتها الإعلامية الباطلة التي تسمي الشهداء بالمنتحرين مرة، وقتلة الأبرياء ثانية، والاعتداء على المدنيين ثالثاً... وغير ذلك من الأباطيل.

وفضلاً عن الأدلة الشرعية على جواز العمليات الاستشهادية. وهو المعتمد الأول في منطلق الاستشهاديين وعملياتهم، فإن الواقع العملي أثبت وبشكل واضح أن العمليات الاستشهادية حققت نكاية بالصهاينة وأضرابهم لم تعهد من قبل. وبثت فيهم رعباً وخوفاً يزلزل أسس وجودهم الباطل في أرض الأنبياء. وعشرات المعارك النظامية لم تحقق ما حققته عملية استشهادية واحدة من خسائر مادية ومعنوية. وخلخلة أمن اللقيط الصهيوني إنما تزداد مع كل عملية استشهادية. ولقد نسفت عمليتا القدس وتل أبيب في شهر تموز، آب ١٩٩٧ ما يحاول قتلة الأنبياء توهمه من الأمن والسيطرة والاستقرار. وكانتا رداً عملياً على الإرهاب الصهيوني الذي أهان العقيدة ودنّس المقدسات وأذلّ الأهل وعربد منتشياً في الديار. ورغم كل العوائق فإن كتائب الاستشهاد؛ كتائب الإمام المجاهد عزّ الدين القسّام ستبقى تزلزل الأرض تحت أقدام الغاصبين حتى يزول الاحتلال؛ وحتى تتداعى الأسطورة الأمنية والعسكرية الخارقة للغاصب الدخيل.

ويا أهل الجهاد والاستشهاد صبراً، فإن في وجهكم -إضافة إلى جيش الاحتلال- مثبِّطين وعشاق سلطة.. عملاء وضائعي كرامة.. جبناء وفلاسفة قعود.. عشاق دنيا وعبيد نظام عالمي جديد مخرب؛ ولكن يا أهل الجهاد ما كان لحق أن يموت ووراءه عاشق مُطالب. وإن كل يوم يمضي يظهر بجلاء أن أمضى سلاح في وجه قوى الاستكبار العالمية هو سلاح الشهادة، ويجب أن يزداد دوره، وأن تربى الأمة المسلمة على إتقان استخدامه في الوقت المناسب ووفق مصلحتها الشرعية. لا كما تملي عليها الإرادات الدولية.

ولتبق راية الإسلام هي الأعلى وليبق الاستشهاد الاقتحامي سلاحاً لا تتركه الأمة المسلمة وفي ديارها طغيان واحتلال وعدوان. سلاحاً لمقاومة ضارية يحب أصحابها الشهادة كما يحب الظالمون الحياة؛ مقاومة تبقى تجاهد حتى لا تكون فتنة ويكون الدِّين كله لله.

وفي هذا البحث بذل الباحث الأستاذ نواف هايل تكروري جهداً مشكوراً في تفنيد الادِّعاءات الصهيونية، وبيّن أن العمليات الفدائية لها أصولها الشرعية ولها

السند التاريخي، وأنها مؤيدة بفتاوى علماء أجلاء في العصر الحاضر.. كما بيّن أن هذه العمليات ليست انتحاراً بحال من الأحوال، بل هي قمة سامقة من قمم الاستشهاد. وشعب (إسرائيل) ليس شعباً مدنياً مسالماً، بل هو شعب محارب من أوله إلى آخره برجاله ونسائه، وكلهم جنود في جيش الاحتلال (ما عدا الاستثناءات مثل الأطفال، أو المنصرفين إلى أمور لا تمت إلى الحرب بصلة) وبيّن أن كتائب المجاهدين لم تقم يوماً باستهداف مدني حقيقي ولا أعزل بريء من دماء شعب فلسطين المجاهد، كما أنها ملتزمة تماماً بالأوامر الشرعية بعدم التعرُّض للأطفال الأبرياء الحقيقيين. لا كما تفعل (إسرائيل) التي يبدو أنها تنتشي دائماً بدم الأطفال من مدرسة بحر البقر إلى مجزرة قانا الرهيبة، أو بدماء المصلّين الأطهار في بيوت الله وهم ركع وسجود.

وليست كتائب الجهاد مسؤولة عن تصرفات الأفراد الذين تضطرم في نفوسهم مشاعر المقاومة في وجه جيش احتلال شرس وهمجي. وماذا تقول لشعب طحنته المصائب، وسكِرَت من دمائه الجنود، وزجّ أبناؤه في السجون، وكُسِّرَت عظام أبنائه، واعتقلت حتى النساء فيه، وأحاطت به الخيانات والمؤامرات.

وينبغي أن يعرف الجميع أننا ندين ترويع الأبرياء والآمنين مهما كانت دياناتهم وشعوبهم، ونرفض أذى المدنيين سواء أكانوا مواطنين أمريكيين أم مواطنين فرنسيين، بل إننا نرفض أي مسّ بطفل (إسرائيلي)، ولو كان أبواه قادة جيوش الكفر والاحتلال. ونحن ندين كل عمل يقتل الأبرياء ويهدد استقرار حياة الناس، وينسف طمأنينتهم، فإن الإسلام علّمنا العدل حتى مع العدو اللدود. ومن وصية أبي بكر رضي الله عنه لأحد قواده: (لا تقتل امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً، ولا تقطع شجراً مثمراً، ولا تخرب عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تعقرن نخلاً ولا تحرقه، ولا تغلل ولا تجبن).

ولكننا لا نشعر بالحرج أبداً، بل نعلن للعالم كله أننا سنقتحم بوابات الموت دفاعاً عن عقيدتنا وديننا، وإسلامنا وبلادنا وأهلنا وأعراضنا وأموالنا، وأن كل جيش احتلال في بلادنا يجب أن يدمر بكل طريقة وبأية وسيلة، سواء أكان ذلك الجيش جيش احتلال عسكري أم اقتصادي، سياسي أم ثقافي.

قال تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} (الحج: ٣٩).

وإن ضريبة الحرية مهما مهما كانت غالية فإن ضريبة الذلّ أفدح بكثير. وعندما

تعاق الأمة عن تحررها فعليها أن تستخدم كل سلاح. ومن ذلك السلاح الذي ليس معه منطق، سلاح الاستشهاد، والعدو دائماً يحاول أن يطوق المقاومة من باب استيعاب منطقها وفلسفتها في المقاومة، وعندها على كتائب الجهاد والاستشهاد أن تستخدم المنطق الخاص بالأمة المسلمة، المنطق الذي يخرج عن منطق عبيد الكفر، المنطق الذي لا يمكن تطويقه لأنه يمرّ من بوابات الاستشهاد، وماذا تفعل الجيوش وأجهزة الاحتلال مع أمة لا تبالي بالموت كي تكُتب لباقيها الحياة {وفَضَّلَ اللهُ المُجاهِدينَ عَلَى القاعِدين أَجْراً عَظيماً} (النّساء: ٩٥). {انفِروا خِفافاً وثِقالاً وجاهِدوا بأموالِكُم وأنفُسِكُم} (التوبة: ٤١). وإن طالب الشهادة من المجاهدين ليقول واضعاً العصابة الحمراء على رأسه: إلى الموت مبتسماً أنا ذاهب. ومن أجل راية لا إله إلا الله سأتلف هذا الجسم الفاني.

ومن أجل ألا يكَتْبُ عن الاستشهاد في الإسلام، غبي أو مخرِّب أو خائن سأتب بدمي على الأرض الطهور ألف قصيدة عشق للشهادة تمحو كل ما يكتبه وما سيكتبه عبيد السلاطين الذين خانوا العقيدة وسلّموا الأرض ونهبوا المال وأباحوا العرض.

سأكتب بدمي، بالمداد الأحمر... أن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة ونية الاستشهاد لا تفارقنا. وعلى الإسلام نحيا ونموت، ومهما يشوه الأنذال ويكتبوا فإن اللون الأحمر ليصبغ كل شيء، ولن يستطيعوا إزالته حتى بأحسن أنواع (التنّر) صهيونياً كان أم أمريكياً.

اللون الأحمر ممزوج بكل حبة تراب في بلادي، بكل شفق، بزهرة كل بستان في وطني، وبالشريطة الحمراء التي تربط ابنتي بها ضفائرها الصغيرة المجدولة بإحكام، والمتعانقة بوداد شديد، كما يعانق حب الجهاد والاستشهاد قلوبنا.

وكل ما يعطي الاحتلال الشرعية فسيفقد هو شرعيته إن كانت له شرعية أصلاً {ولا تجُادِل عنِ الذّين يَختْانون أنفُسَهُم إنّ الله لا يحُبُّ من كان خوَّاناً أثيماً} (النّساء: ١٠٧).

إن أوضاع الأمة لا تحسد عليها لكن رغم كل النوائب والمحن والمذابح فقد قررنا أن نبقى، وأرى أن من الضروري التذكير والعمل من أجل:

١- إحياء فقه الجهاد والاستشهاد واستصحاب نيتّه دائماً، وبناء مقوماته.

٢- فضح أساليب المكر والالتفاف الصهيوني وتوعية الأمة بطريق التطويق.

٣- ضرورة الإعداد للاستشهاد في سبيل الله حيثما يطلب الإسلام ذلك؛ في محراب القتال، أو محراب العلم، وفي كل شؤون الحياة.

٤ – أن يكون الاستشهاد منضبطاً بالطاعة والحرص على المصلحة العامة وليس قائماً على فورات نفسية ليس لها رصيد إيماني متين.

٥ – كل جهد مهما كان صغيراً فإنه يصب في خانة الجهاد، وأحبّ العمل إلى الله أدومه وإن قلّ، وكل أنواع الدعم والمساندة البشرية والمالية والفنية والمعلوماتية وغيرها إنما هي من صميم الجهاد.

٦– عدم التفريط بأرواح الإخوة من دون سبب، وعدم الضنّ بها عند اللزوم.

٧– الدهاء والذكاء يوفران كثيراً من الجهود وما يمكن حيازته بثمن غير باهظ لا ينبغي أن يبذل فيه أكثر مما يستحق.

٨ – ربط الماضي مع الحاضر لبناء المستقبل، وإعادة دراسة الظروف ومجالات التحرك ضمن الوقت المناسب.

٩– الصلة الدائمة بواقع الأمة والالتحام بمآسيها وأفراحها.

١٠– استخدام كلمة العمليات الاستشهادية والوقوف في وجه كل من يسميها (عمليات انتحارية) أو (تخريبية) ونبذ أصحاب الفتاوى الباطلة.

وبقي أن نقول: إن هناك فئة من العلماء الذين لا يشك في إخلاصهم، لهم توقُّفات وتحفظّات على بعض الأمور، وهذا مما ليس فيه أي إشكال، بل هو حقهّم في الالتزام بما يؤدي إليه اجتهادهم. ولكننا نقول لهم: مزيداً من العيش مع آلام الأمة وواقعها، ومزيداً من الانغماس في همومها والمعرفة بحجم التآمر عليها والكيد بها.. ولكم رأيكم بعد ذلك ولكن لا تعيقوا إخوانكم من أهل الجهاد ولا تنسفوا اجتهاداتهم باجتهادات ليست منها بأقوى.. ومهما كان موقفكم فاحذروا السير في ركاب من يقدمون للاحتلال التسويغ وللمقاومة التخذيل. ونسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً إلى صواب القول والعمل.

إن العمليات الاستشهادية لا تمتّ إلى الانتحار الحرام بصلة، وهناك طرق كثيرة للانتحار ليس منها بحال الاقتحام الاستشهادي في سبيل الله، فالانتحار الجبان يحصل في لحظة ضعف وهروب من مواجهة ظروف الحياة مهما كانت المعاناة السابقة له، أما الاستشهاد اقتحاماً فهو لحظة التتويج لعزيمة إيمانية دافقة، وشجاعة مذهلة، وقصة حب شديدة للعقيدة والدّين.

المنتحر الجبان معترضٌ على قدر الله، والاستشهادي المقتحم قدر من أقدار الله في الأرض، تحبط به خيانات الخائنين، وعربدة الصهاينة والمجرمين.

الاستشهادي المقتحم قدر من أقدار الله. تتجدد به روح المقاومة، ويرفع معنويات المرابطين، ويرغم أنوف أعتى المجرمين؛ قدر ينفي الخوف عن الأمة المسلمة أن تستعبد لقوى الكفر في الأرض. وقدر يزول به خوف الأسر والتعذيب والاعتقال من قبل المجاهد بائع نفسه لله، وهو ماضٍ إلى دار الأمان الحق والوعد الصدق، إلى جنة عرضها السموات والأرض، يربح فيها البيع، ويكون اللقاء بالأحبة، محمد صلى الله عليه وآله وصحبه، فلا يقيل المجاهد عنها ولا يستقيل.

وأخيراً فإن من كتب هذا البحث أعطاه من قلبه وروحه ولا نزكي على الله أحداً، عرفته فلسطين ناشئاً في طاعة الله ثم داعية مؤمناً ومجاهداً صلباً في وجه الاحتلال.

وعرفه مرج الزهور أحد الأبطال المبعدين، لا ينال منهم التشريد والنفي والإبعاد والعيش في العراء وتحت الثلوج.

وعرفته كلية الشريعة حامل علم وباحثاً عن الحق في كل سبيل، وعرفه إخوانه واحة عطاء وأمل وخير...

وعرفته أسرته زوجاً وفياً وأباً رحيماً يتدفق منه الحب والوداد.

وعرفه الإسلام جندياً يهب لنصرة العقيدة في كل وقت وحين.

فبارك الله في الأخ الغالي نواف هايل تكروري (أبي ثابت)، وأجرى على يديه الخير الكثير.

ونستودعه وسائر إخوانه من أهل الجهاد والاستشهاد في كل البقاع الله الذي لا تضيع عنده الودائع. وصلى الله على سيدنا محمد القائل: «لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة» رواه مسلم. وعلى آله وصحبه والتابعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أحمد معاذ الخطيب

خطيب جامع بني أمية الكبير سابقاً

مقدِّمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه وسار على خطاه.

وبعد

بعد أن نفدت الطبعة الأولى من الكتاب في فترة قصيرة جداً -لا تتجاوز خمسة أشهر - فقد صار لزاماً علي أن أعود لطباعته لتعمّ الفائدة، وتتجلى الصورة بأوسع نطاق.

وقد وردني كثير من الاقتراحات والنصائح من كثير من الإخوة القرّاء مشكورين.

وبعض هذه الاقتراحات متعلق بالأخطاء اللغوية والمطبعية، وقد استفدت منها وعملت على تلافيها في هذه الطبعة. فجزى الله خيراً كل من ساهم في ذلك باقتراحه وتوجيهه ونصحه.

ومنها ما هو متعلق بصلب الموضوع. كاقتراح إيراد مزيد من فتاوى علماء العصر أو نقل مزيد من الأعمال الجهادية المتشابهة في العصر الأول.. الخ.

وقد نقلت في هذه الطبعة مزيداً من أقوال علماء العصر الذين تمكنت من الحصول على فتاواهم وربما تعذر الحصول على أقوال بعض العلماء لصعوبة الاتصال والتنقل.

ووردني اعتراض فحواه أن هذه العمليات تؤدي إلى فرض حصار وتضييق على الشعب الفلسطيني فلا بد من أخذ ذلك بعين الاعتبار عند إرادة إصدار حكم بحقها...

وقد أجبت عن هذا الاعتراض في نهاية البحث تحت عنوان (اعتراض ورد) وكذلك أضفت في تمهيد هذا الكتاب عنواناً جديداً «أمثلة على فعالية العمليات الاستشهادية».

ولما كان هذا الكتاب في الدرجة الأولى لبيان حكم العمليات التي ينفذها المجاهدون في فلسطين ولبنان ضد اليهود المغتصبين بلادهم وأرضهم أحببتُ من خلال هذه المقدمة أن أُذكّر القارىء بحقيقة الكيان الصهيوني المصنوع على أرض

فلسطين وبعدوانه على الشعب وإرهابه الذي ملأ الآفاق، وكيف أنه قام وظهر وربا على الإرهاب وليس على العدل والسلام..

فاليهود الذين (يوَلْوِلون) اليوم في فلسطين ويبكون ويشجبون (الإرهاب)، ويهيبون بالعالم أن يقف في وجهه -هم الإرهابيون حقاً، وهم أعداء البشرية جمعاء، وهم الذين مارسوا الإرهاب والعدوان ضدّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقتلوا يحيى وزكريا عليهما الصلاة والسلام، وحاولوا قتل عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وكذبوا موسى ومحمد وعيسى والأنبياء أجمعين عليهم الصلاة والسلام...

قال تعالى: {أَوَكُلَّما جاءَكُمْ رَسولٌ بِما لا تَهْوى أنفُسُكُمُ استَكْبَرْتُم فَفَريقاً كَذَّبْتُم وفَريقاً تَقْتُلُون}.

وما زالوا يمارسون الإرهاب ضد من خالفهم في رأي أو رفض عدوانهم، وكشف زيف مخططاتهم. ففي سنة ١٩٥٧ قتل اليهود السناتور الأمريكي «جوزيف ماكارثي» في المستشفى وذلك لأنه كان مناوئاً لليهود بسبب ممارساتهم المُضرّة بالأمريكان، وفضح مخططاتهم السِّرية. وقد جاء في صحيفة «نيويورك صاندي نيوز» الصادرة بتاريخ ١٩٥٧/٦/٢ تعليقاً على ذلك «إن الرجال الشجعان أمثال (ماكارثي) يخيفون اليهود ولذلك يتعرضون لسخطهم، وعندما تتأكد كل دوائر اليهود السرية من تفاقم خطر هؤلاء الرجال يسارع اليهود إلى القضاء عليهم وإزاحتهم عن الطريق مهما كلفّهم الأمر»[١].

وقاموا باغتيال الرئيس الأمريكي جون كنيدي عام ١٩٦٣/٧/٢٢م، للأسباب نفسها ولأنهم شعروا بالضيق من مشاريعه السياسية في الشرق الأوسط، واهتمامه بقضية فلسطين واللاجئين[٢].

وأما إرهابهم وعُدوانهم على الشعب الفلسطيني فلا حدود له، ولم يخفِّف من حدتّه إلا تلك العمليات الاستشهادية التي نحن بصددها -حيث صاروا يحسبون لها ألف حساب.

وسوف أنقل هنا بعضاً من صور إرهابهم الوحشي ضد أبناء الشعب الفلسطيني، الذين بلغ عدد القتلى والجرحى والمعوقين فيه أكثر من نصف مليون، وبلغ عدد المشرَّدين أكثر من أربعة ملايين بين مُبعد ونازح ولاجئ في شتى أنحاء الأرض نتيجة لعدوان اليهود. وفيما يلي قليل من كثير من مجازرهم وعدوانهم.

١- قامت عصابات اليهود الإرهابية، بالتواطؤ مع الإنجليز، بعمل عدة مجازر إرهابية، ومذابح وحشية ضد أهل فلسطين المدنيين العُزَّل، من أجل إجبارهم على ترك وطنهم والرحيل عنه إلى البلدان المجاورة، وأشهر هذه المذابح مذبحة دير ياسين في ١٩٤٨/٤/٩م، إذ جمعوا السكان صفاً واحداً رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً، ورشوهم بالرصاص، وأمعنوا في تعذيبهم وقتلهم، فبقروا بطون الحبالى وذبحوا الأطفال، وقطعوا أوصال الضحايا، وشوَّهوا أجسامهم، ثم جمعوا الجثث، وجرَّدوها من الملابس، وقذفوا بها في بئر القرية!! وعندما جاء مندوب الصليب الأحمر الدكتور (ليز)، ورأى جريمة اليهود البشعة بالمدنيين لم يقْوَ على الوقوف، لإحصاء عدد الجثث، وعندما وصل العد إلى (٢٥٠) جثة أغمي عليه.

ومن المذابح الأخرى المشهورة قبل عام ١٩٥٦م: مذبحة شرفات في ١٩٥١/٢/٧م، ومذبحة عيد الميلاد في ١٩٥٢/١/٦، ومذبحة قبية في ١٩٥٣/١٠/١٤، ومذبحة قتل الأطفال في ١٩٥٤/١١/٢، ومذبحة غزة في ١٩٥٥/٢/٢٨، ومذبحة شاطىء طبرية في ١٩٥٥/١٢/١١، ومذبحة غزة الثانية في ١٩٥٦/٤/٥، ومذبحة غرنول في ١٩٥٦/٩/١٣، ومذبحة حوسان في ١٩٥٦/٩/٢٥، ومذبحة قلقيلية في ١٩٥٦/١٠/١٠ ومذبحة كفر قاسم في ١٩٥٦/١٠/٢٨، وعندما سأل أحد الصحفيين الضابط اليهودي (مالينكي) عن المذبحة: هل أنت نادم على ما فعلت: قال: بالعكس، لأن الموت لأي عربي في (إسرائيل) معناه الحياة لأي (إسرائيلي)، والموت لأي عربي خارج (إسرائيل) معناه الحياة (لإسرائيل) كلها!! ثم سأله ماذا كان شعورك أثناء المجزرة؟ فأجابه: كنت متعطشّاً للدمّ العربي، وقد شربتُ منه حتى سكرت!!

٢- قام اليهود باغتصاب فلسطين من أهلها وأصحابها الشرعيين عام ١٩٤٧ عبر مسلسل دموي إرهابي رهيب ضدهم وبتأييد ودعم من الشرق والغرب اللذّين اعترفا بحق اليهود في فلسطين بدلاً من أهلها.

٣- قام الإرهابيون اليهود تشاركهم بريطانيا وفرنسا بالاعتداء على أهلنا في مصر عام ١٩٥٦ من جانب وحد.

٤- قام الإرهابيون اليهود بشن هجوم مباغت على كل من مصر وسورية والضفة الغربية عام ١٩٦٧، واحتلوّا الضفة الغربية بما فيها القدس الشريف والمسجد الأقصى وسيناء والجولان، فأذاقوا أهلها مرّ العذاب، واستولوا على أراضيهم ومياههم وممتلكاتهم وقتلوا أطفالهم ونساءهم وما زالوا.

٥ – في عام ١٩٦٩ كانت محاولة اليهود الإرهابية لتدمير المسجد الأقصى فأحرقه شاب منهم، اعتقُل ثم أُطلق سراحه، وفي ١٩٨٠ قام السفاّح (كاهانا) بمحاولة تفجير المسجد الأقصى فاعتقل ثم أُطلق سراحه، وفي ليلة ١٩٨٤/١/٢٧ قامت مجموعة مسلحة يهودية إرهابية باقتحام الحرم القدسي من جهة باب الرحمة، إلا أن الحرّاس تمكّنوا من إحباط محاولتهم، فتركوا خلفهم القنابل والمتفجرات.

٦– قام اليهود الإرهابيون باجتياح لبنان عام ١٩٨٢، وقتلوا النساء والشيوخ والولدان وعاثوا في الأرض الفساد، وبقوا حتى الآن جاثمين على صدر الشعبين الفلسطيني واللبناني في لبنان رغم صدور قرار مجلس الأمن ٤٢٥ القاضي بانسحابهم الفوري من جنوب لبنان.

٧– قامت عصابات الإرهاب اليهودي وكذلك عصابات النصارى في لبنان بعمل مجزرتي صبرا وشاتيلا في ١٩٨٢/٩/١٧، وتل الزعتر والكرنتينا في ١٩٧٦/٨/١٠. وهما من أبشع مجازر العصر التي سجلها التاريخ ضد المدنيين العزُّل، فقد قاموا بذبح الأطفال والشيوخ والنساء وقدموا جثثهم للكلاب، وقاموا باغتصاب النساء وحرق الشباب بصورة تقشعر لها الأبدان.

٨ – قام مجرمو الحرب اليهود بقتل المدنيين العزُّل من أبناء فلسطين في مذبحة عيون قارة في ١٩٩٠/٥/٢٠!!

٩– ارتكبت عصابات الإرهاب اليهودي المجرمة مجزرة الأقصى الرهيبة في ١٩٩٠/١٠/٨، إذ دخلوا على المصلِّين الآمنين العزُّل، وقاموا بقتلهم بالجملة دون مراعاة شيخ أو امرأة أو طفل، وقام عدد من زعماء اليهود والحاخامات بمباركة المجزرة وطالبوا بالمزيد.

١٠– وإن ننسَ فلا ننسى مجزرة الحرم الإبراهيمي التي نفذها الطبيب اليهودي الإرهابي (باروخ غولد شتاين) ضد المصلّين الأبرياء العزُّل في الحرم الإبراهيمي في ١٩٩٤/٢/٢٥ بمباركة جميع الحاخامين في فلسطين، وبخاصة الحاخام الأكبر (غورن) والحاخام (دروكمان)، وقد نصبوا لغولد شتاين تمثالاً، واتخذوا منه نبياً لقتله المدنيين الفلسطينيين في الحرم، وبارك هذه المجزرة الرهيبة رئيس الكيان الصهيوني وايزمن نفسه، إذ طالب بفتح تحقيق لمعرفة قاتل السفاح غولد شتاين وليس تحقيقاً في قتل المصلّين في الحرم، وقام كيان المجازر والإرهاب بعد ذلك بالاستيلاء على الحرم الإبراهيمي الشريف وتحويله إلى كنيس يهودي[٣].

١١ – وفي يوم الخميس ١٩٩٦/٤/١٨ قام جيش الإرهاب الصهيوني بارتكاب مجزرة قانا ضد مئات المدنيين العُزّل من الشعب اللبناني، فلم يشفع لهم فرارهم ولجوؤهم إلى إحدى قواعد الأمم المتحدة، حيث قصفتهم القوات الصهيونية الإرهابية الحاقدة من الطائرات، مما أدى إلى مقتل أكثر من مئة شخص وجرح أعداد كبيرة أكثرهم من الأطفال والنساء والشيوخ.

ولا يمنع هذا الكيان المصنوع على أرض فلسطين من تنفيذ إرهابه وعدوانه عهد ولا ميثاق فالمهم أن ينفذ ما يجري في عروقه من الإرهاب، فقد قامت عصابة من عصابات الموساد بتاريخ ١٩٩٧/٩/٢٥ بمحاولة اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) (خالد مشعل). ولكن أين؟ وكيف، فقد وقعت محاولة الاغتيال المخفقة على أرض الأردن الذي يقُيم مع الكيان الصهيوني معاهدة (سلام)، والتي من أبسط مقتضياتها عدم القيام بأي عمل يخلّ بأمن البلد المعاهد. وأما كيف؟ فقد كانت من خلال تزوير جوازات سفر كندية للعملاء الذين أولكت إليهم المهمة الإرهابية، الأمر الذي يسيء إلى البلد الذي أُصدرت الجوازات باسمه، مع العلم بأن كندا تعترف بالكيان الصهيوني وتقيم معه علاقات دبلوماسية وتربطها به علاقات جيدة. ولكن هيهات أن يتخلى هؤلاء الإرهابيون عما يجري في عروقهم من الإرهاب، أو يحفظوا عهوداً أو مواثيق، وهم الذين يقول الحق سبحانه وتعالى فيهم: {كلُمَّا عاهَدوا عهْداً نبَذَهُ فرَيقٌ منِهمُ} وهم لا يرقبون إلاّ ولا ذمةً ولا يحفظون عهداً ولا ميثاقاً.

وليست النزعة إلى الجريمة والعدوان والقتل صفة عارضة في أخلاق يهود ونفوسهم، وإنما هي خلُقُ متأصلّ فيهم، ينطلقون إليها من عقائدهم الباطلة وكتبهم المحرفّة، فمن تعاليمهم التلّمودية: «اقتلوا من همُ أكثر أمانة من غير اليهود.. ومن يرِقِ دم الغويم –غير اليهود– يقدمِّ قرباناً إلى الله».

وفي التلّمود أيضاً: «من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر، لأن من يسفك دم الكافر يقربّ قرباناً إلى الله». وأما عبارة (لا تقتل) الواردة في الوصايا العشر، فقد فسرَّها الرابي «موسى بن ميمون» بأنها «نهي عن قتل شخص من بين إسرائيل»[٤].

وفي التلمود أيضاً: «إن الله لا يغفر ذنباً ليهودي يرد للأمِّي ماله المفقود، وغير جائز ردّ الأشياء المفقودة من الأجانب»[٥]. وفيه أيضاً: «إن الأمُيِّ الذي يضرب إسرائيلياً يستحق القتل»[٦]. ولعلهم بناء على هذا النص المصنوع بأيدي حاخاماتهم المنحرفين

يطلقون الرصاص الحي على رؤوس الأطفال وصدورهم لمجرد حملهم أحجاراً ربما لم يستطيعوا قذفهم بها عليهم.

فمن هو يا ترى الذي يجب أن يُدرج في قوائم الإرهاب؟ أهم أولئك الشباب المسلم المجاهد الذي اضطر للدفاع عن بلاده ومقدساته وكرامة أمته، واضطر إلى بذل نفسه في سبيل الذَّوْد عن مقدساته ووجود أمته وعزتها ودفع المعتدي الغاصب وردّ عدوانه؟ أم أولئك الذين تجمعوا من شتى بقاع العالم وجاؤوا لفيفاً تاركين ديارهم وبلادهم من أجل الاعتداء على بلاد المسلمين والاستيلاء عليها بالقوة مدعومين من كل الظالمين في الأرض؟ أيهما الإرهابي وأيهما المدافع عن حقه؟

وهل إقرار هيئة الأمم لهم بالعدوان على فلسطين قد أحال عدوانهم حقاً، وهل يرضى شعب في الأرض أن توهب أرضه وبلاده لغيره؟ ولو أن هيئة الأمم منحت اليهود جزءاً من أمريكا أو روسيا أو فرنسا.. ليقيموا عليها وطناً فماذا عسى شعوب هذه البلاد أن تفعل؟ هل ترضى بذلك وتمتنع عن المقاومة والقتال وتخليص حقّها؟ أم أنها ستفجّر الأرض من تحتهم وتشعلها عليهم ناراً وتوردهم كل المهالك، وهي بذلك مُحقّة معذورة لأنها تدافع عن أرضها وبلادها وحقوقها؟

الهوامش

(١) النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة/ غازي محمد فريج ص٢٥٨.

(٢) المرجع السابق ص٢٥٩.

(٣) نشرة صادرة عن مجموعة من العلماء بعنوان قضية فلسطين بين الاغتصاب والإرهاب: ٢-٤، وانظر النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة/ غازي محمد فريج: ٢٣٦ - ٢٥٢.

(٤) النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة: ص١٣٥.

(٥) صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية: ص٨٢، نقلاً عن الكنز المرصود في قواعد التلمود: ص٧٢ - ٧٣.

(٦) المرجع السابق.

مقدِّمة الطبّعة الأولى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله قائد المجاهدين وسيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

يقول الله سبحانه وتعالى: {قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين × هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين × ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين × إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين × أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين × ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون} (سورة آل عمران: ١٣٧ – ١٤٣).

وقال تعالى:{ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم} (التوبة: ١١١).

لقد أثبت التاريخ وأكد الواقع أنه لا يصلح لهذه الأمة أن تغمد سيفاً أو تعلن عن وقوف الجهاد، لا لأنها تتعطش لسفك الدماء وخوض الحروب وتمزيق الأشلاء، وإنما لأن الباطل كلما أتيحت له فرصة أو رأى في أهل الحق شيئاً من الضعف أو اللين تغطرس وهاجم واعتدى.

فهذه بلاد الشيشان تُسام خسفاً وخراباً وتدميراً، ويذوق أهلها ألوان العذاب.. بسلاح الروس الفتّاك، لا لذنب إلا أنهم يقولون: ربّنا الله، ويدينون لله بالإسلام.

وبلاد البوسنة والهرسك ذاقت الأمَرّين لأنها بقعة مباركة محاطة بالأرجاس والوحوش، ولاقى أهلها التشريد والعذاب لأنهم أعلنوا أنهم مسلمون، فتآمر الشرق والغرب وأخذ دوره في تضييع هوية هؤلاء المسلمين وصهرها فيما حولها، وتمكّن هؤلاء من الحيلولة دون وجود دويلة مسلمة في قلب أوروبا الصليبية، بعد أن بذل أهلها –البوسنة– دماء عروقهم وأعراضهم، والعالم الإسلامي يغط في سبات عميق، مشغولاً بالخلافات الداخلية أو بمعركة السلام الفاصلة!!

والمسلمون في كشمير وفي الهند قاطبة تُدَمَّر مساجدهم ويقتّل شيوخهم

وأطفالهم ونساؤهم على يد عبُاَّد الوثن والبقر، لا لشيء إلا لأنهم مسلمون.

وفي لبنان عاث اليهود فساداً وأشعلوا فتناً أتت على الأخضر واليابس وأدّت إلى احتلال أجزاء منه.

وأما فلسطين أم القدس الشريف فقد عاث فيها أذل خلق الله –اليهود– فساداً وساموا أهلها التشريد والتقتيل والإبعاد والسجن، وكل ألوان العذاب.

كل هذا يحصل وبلاد العالم الإسلامي تقدم التنازل تلو التنازل، ولم يشفع للمسلمين في الأرض رضاهم أو رضا كثير منهم بكل هذا الهوان وتقديمهم التنازلات، فلم يعتبر أعداء الإسلام هذا الأمر غنيمة كافية وإنما استمروا في عدوانهم لا يوقفهم إلا القضاء على الإسلام وأهله. وهذا مصداق قول الحق سبحانه وتعالى: {ولا يزَالون يَقُاتِلونكُم حتَّى يرَدّوكُم عنَ دينِكُم إن استطاعوا ومنَ يرَتَدِد منكُم عنَ دينِه فيَمُت وهَوُ كافِر فأولئِكَ حبِطَت أعمالهُمُ في الدُّنيا والآخِرةَ وأوُلئِكَ أصحاب النّارِ هُم فيها خالدِون} (البقرة: ٢١٧)

ولكن أنّى لهذه الأمة أن تنتهي وقد أذن الله لها بالبقاء وتعاهدها بالتجديد كلما اعتراها ضعف أو فتور.

ومن هنالك كان قضاء الله تعالى في هذه الظروف الصعبة التي يعيشها المسلمون أن تبدأ ثمار الصحوة الإسلامية في العالم تؤتي أكُلُها، ويبدأ حملتَهُا مع الضيق وقلة الطوّْل يحملون لواء الدفاع عن كرامة الأمة، ويرفعون راية الجهاد في سبيل خلاصها من كل أنواع القهر، فتطوع الشباب بدمائهم لا هروباً من الحياة أو المسؤولية، ولا جزعاً ويأساً من الحال التي وصلت إليها الأمة، وإنما إيماناً منهم بأن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير البلاد والعباد. وليس غريباً على هؤلاء الشباب الذين تربوّا على مائدة القرآن الكريم، فآمنوا بقوله تعالى: {والذّين إذا أصابهَمُ البغَيُ هُم ينَتْصَرِون} (الشورى: ٣٩). أن يضُحوا في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض وإعزاز دينه وعباده.

ولقد تجلى هذا البذل وهذه التضحية بأجلى صورها وأوضحها، بإقدام فئة من هؤلاء الشباب المجاهدين في فلسطين وغيرها على الموت الزؤام من خلال القيام بعمليات استشهادية ترهق الأعداء وترفع معنويات المسلمين، وتبعث في الأمة أمل النصر وتعيد لها ذكريات أولئك الأبطال المجاهدين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين استعجلوا الموت من أجل لقاء الله حتى إن بعضهم لم

ينتظر لينهي ثمرات كن في يده.

وكانت هذه العمليات ويلاً وثبوراً على اليهود وأعوانهم، وعلى أمثالهم من المعتدين المغتصبين، ورفعاً لمعنويات المسلمين.. إلا أن بعض أنواع هذه العمليات جابهه بعض المسلمين بالرفض، ولا سيما تلك العمليات التي يفجر فيها المجاهد نفسه في الأعداء، فيذهب فيها شهيداً ويلْحِق خسائر فادحة بالأعداء. وذلك لأن المجاهد يُقتل في هذه العمليات بفعل نفسه، الأمر الذي يجعل لها شبهاً بالانتحار، ولأنها تكون في أماكن عامة مما يؤدي إلى قتل بعض الأطفال والنساء أحياناً.

ولقد كان المعترضون على هذه العمليات ثلاثة أصناف.

الصنف الأول: علماء صادقون كما نعلم -ولا نزكّي على الله أحداً- وقد نظروا إلى هذه العمليات نظرة سطحية ظاهرية، من دون اعتبار للبواعث، أو بحث في أسباب تحريم الانتحار، وما صوره التي جاءت نصوص الكتاب والسنّة لتجريمها وتحريمها.. وأنها بعيدة كل البعد عن معنى هذه العمليات..

الصنف الثاني: مقلدّون لهؤلاء العلماء يرددون أقوالهم ويقتدون بهم، وليس لديهم من العلم الشرعي وقواعده ما يعينهم على النظر والبحث في هذه العمليات أهي من الانتحار أم من الجهاد والشهادة؟ فهؤلاء يقولون بقول من يقلدون ويقتفون أثرهم.

الصنف الثالث: عملاء مدفوعون من قبل اليهود يسوؤهم ما يسوء يهود ويسرهم ما يسر يهود. فلما رأوا هذه النوازل باليهود تستّروا بستار الدين وأخذوا يعلنون حرمة هذه العمليات، وأنها ليست من الجهاد في شيء، وأنها ليست إلا ضرباً من الانتحار، قاصدين بذلك إدخال الشك والريبة في نفوس المجاهدين الوقافين عند حدود الله ليمنعوهم بهذا الإعلان وهذه الدعاية من القيام بمثل هذه الأعمال الجهادية ويخففوا وطأة الجهاد عن رؤوس اليهود وما أوقعته من هلع في نفوسهم.. فهم محاربون بصورة أصدقاء يعلنون أنهم حريصون على الحكم الشرعي وما هم إلا جنود في صفوف اليهود ولكن حربهم بالخدعة والتشكيك، وما أدلُّ على ذلك من تداعي فئة من هؤلاء للاجتماع فيما يسمى (وزارة الأديان) في الكيان الصهيوني من أجل شجب هذه العمليات واستكنارها وإعلان حرمتها..

ولا شك في أن هذا الصنف من القائلين بحرمة هذه العمليات لا يهمّنا نقاشه ومحاورته، وإنما يكفي أن نبين للناس صورته وحقيقته...

وإنما جاء هذا البحث لتوضيح الصورة أمام الصنفين الأولين اللذين ما نظن فيهما إلا صدقاً، وما نظن أقوالهما إلا غيرةً وحرصاً، وإن كنا قد وصلنا إلى عدم صواب ما ذهبوا إليه.

والحقيقة أنني عندما بدأت هذا البحث كنت أظن أنه ليس هناك أدلة قوية وصريحة تدل على جواز هذه العمليات، كما كنت موقناً أن ما سيق من أدلة لتحريمها لا تصلح لذلك. وقد تأكد لي بعد البحث والتنقيب عدم صلاحية أدلة الانتحار لتلحق بمثل هذا النوع من الجهاد وتنسب إليه. بل لقد وجدت أن لهذه العمليات أدلة من المنقول والمعقول وأنها تشبه كثيراً أعمالاً جهادية قام بها المسلمون الأوائل.

وقد جعلت هذا البحث في العمليات الاستشهادية التي ينفّذها المجاهدون في فلسطين. ولا شك في أن ما ينطبق على الجهاد في فلسطين من أحكام، ينسحب على الجهاد في كل مكان، فما في البحث من أحكام يصلح أن يكون للشيشان، ولأهل كشمير، والسودان، والصومال والفلبين، ولكل المسلمين المجاهدين في سبيل الله في كل مكان... وما ذِكرُ فلسطين إلا تمثيلٌ لا حصر؛ لأن سبب البحث هو العمليات التي نفذت في فلسطين وثارت حولها الإشكالات –كما أوضحت..

وقد جعلت هذا البحث في تمهيد وفصلين أساسيين وخاتمة على النحو التالي

التمهيد: وبيَّنتُ فيه:

١- المقصود بالعمليات الاستشهادية قديماً وحديثاً وصورها.
٢- ما يترتب على العمليات الاستشهادية بصورتها الحديثة من آثار.
٣- أمثلة على فعالية العمليات الاستشهادية.

الفصل الأول: بحث الإشكال القائل بشبه هذه العمليات بالانتحار.

الفصل الثاني: بحث الإشكال القائل بأنه يقتل في هذه العمليات مدنيون.

الخاتمة: ومضنّتها أهم نتائج البحث.

هذا وقد بذلت جهدي في هذا البحث سائلاً ربي عزّ وجلّ أن يجعله في ميزان حسناتي وصدقة جارية لوالديَّ، وأن يجعله علماً يُنتَفَعُ به. فما كان فيه من خير فمن توفيق الله ورضاه وعونه، وما كان غير ذلك فمن نفسي. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر زلة القلم وأن ينفع بما علِم..